بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا عن موجهه وجوهه حريصا على
جمعه عاد كثيره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف
به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة
فاذن التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو
للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه
مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى
ولا ممتدح به عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض
من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن
مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده شيء والمنفق ملي غني بتحصيله
فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر في سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم
وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم
ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن
وجميع جزيرة العرب وما دانا ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه
من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جملة
من ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه
مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي
احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير
مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم
حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه مرهونة في نفقة
عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته
اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة
والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج
المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة في الملابس والتزين

بها

بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها
نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه
مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر
فيه في العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال
وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه
ومركوباته ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها
فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة
زائد عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فايتها وبذلها
في مظانها

فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة

والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل وتعظيم المتصف بالخلق
الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة
الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن
الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى
منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتها
في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك
لعلى خلق عظيم قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى
برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا
عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود
الاهي وخصوصية ربانية وهكذا لساير الانبياء ومن طالع سيرهم
منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى